ستظل الى الأبد تحت سيطرتهم.. فوجهوا كل اهتمامهم الى تكوين فئات اجتماعية تكويناً يجعلها دائماً خاضعة وتابعة.. يتملكها القنوط واليأس من تحقيق أي نوع من أنواع الخلاص من الوجود الاستعماري وركائزه من الحكام والسلاطين العملاء.. ولم تسعفهم التخمة في إدراك ان المضطهدين من أبناء الشعب الذين كانوا يفترشون الأرصفة ويلتحفون هجير الشمس قد انطوت نفوسهم على كوامن بركانية تتأجج حقداً ضد الاستعمار وعملائه وتحتاج الى من يقودها من نصر إلى نصر حتى تحقيق الجلاء النهائي للاستعمار وقواه العسكرية الرابضة.

كان الشعب قد يئس من أي لون من ألوان العمل عبر المطالبة السياسية بخروج الاستعمار وإزالة الاحتلال.. بل لم تكن هناك وسيلة أمامه للخلاص من الظلم والاضطهاد الاستعماريين سوى القيام بالثورة المسلحة التي نضجت شروط القيام بها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة ووجود القيادة الطليعية المنظمة والمتمثلة بالتنظيم السياسي للجبهة القومية.

لم يكن في حساب الانجليز ولا عملائه أن الشعب سوف يفكر في يوم من الأيام بان يخوض نضالاً ثورياً قوامه العقل الفدائي في مدينة عدن الصغيرة الحجم والمساحة والمزروعة بالقواعد العسكرية المتنوعة.. والمحاطة بأضخم البوارج العسكرية البحرية العامرة بأحدث الأسلحة المتطورة والمدمرة.. لاعتقادهم بان مدينة عدن بحجمها الجغرافي الضيق والمحكم لا يمكن أن تكون ساحة لمعارك عسكرية فدائية بأية صورة من الصور.

فمدينة عدن كانت عبارة عن جزر متناثرة تربطها شرايين من الطرقات التي تخترق مياه البحر لتعمم حركة الناس داخل مساحات هذه الجزر التي تكوّن مدينة عدن إلى جانب ما يحيطها من سياج تكوّنه سلسلة الجبال البركانية التي تحيط بالمدينة وتحاصره من كل ناحية ما عدا الناحية الشمالية التي تشكل منفذاً برياً عبر الطريق البحري الذي يخرج إلى أطراف محافظة لحج حالياً، وشرقاً عبر الطريق الساحلي لساحل أبين الذي يطل على مياه البحر العربي المتصل بالمحيط الهندي الواسع.

هذا الوضع الجغرافي لمدينة عدن كان يُطمئن الانجليز إلى حد كبير بعدم قدرة الشعب وقيادته المنظمة على اللجوء إلى استخدام المقاومة المسلحة ضد وجوده داخل المدينة التي تعتبر قلعة من القلاع العسكرية للقوات البريطانية التي كانت آنذاك منتشرة ليس في مدينة عدن وحسب، بل وفي مناطق الشرق الأوسط.

أما كيف اختمرت ونضجت فكرة العمل الفدائي المسلح داخل مدينة عدن فقد بدأت التشكيلات التنظيمية للعمل في مدينة عدن قبل أوائل عام 1964م.. وتشكلت قيادة للمدينة مكونة من القطاع العسكري والقطاع الشعبي الذي كان يضم قطاعات العمال والمرأة والطلاب والتجار، وتحمل

المسؤولية في بداية العمل لعدة أشهر الشهيد نور الدين قاسم ثم تعرض للاعتقال واسندت المسؤولية فيما بعد للشهيد عبدالفتاح إسماعيل الذي استمر يقودها حتى ما قبل الاستقلال بعدة أشهر.

كانت الجبهة في عدن قد بدأت بالعمل على تنظيم وتدريب مجاميع كبيرة من الأعضاء الذين يتحلون بالشجاعة وقوة الاحتمال والصبر وضبط الأعصاب والكتمان حتى لا يقعوا في حبائل الاستخبارات التي جندت كل إمكانياتها لمراقبة ومطاردة كل العناصر الوطنية التي تتحرك باتجاه تبني النضال المسلح.. زيادة على أن تكون العناصر الفدائية على قدر كبير من الوعي والثقافة التي تمكنها من الإقناع ورسم الخطط الدقيقة للعمل العسكري ومتابعة التنفيذ بسرية تامة.إضافة إلى ذلك كان اختيار الفدائي يمر بمراحل اختبارية لضمان تحقيق صفات عملية وفكرية تمكنه من اجتياز الصعوبات والمخاطر التي ستواجهه في نشاطه العملي اليومي على كل المستويات.. وسواء أكان الفدائي يعمل منفرداً أم ضمن مجموعة.. فان أول الصفات التي يجب أن يتحلى بها هي الإيمان بالتضحية من أجل الشعب والوطن.. وثانيهما أن يحرص كل الحرص على أن لا يثير في سلوكه انتباه الآخرين، أو يبوح بأي سر من أسرار العمل الفدائي، وأن يكون غاية في الهدوء يتصف بالجرأة والإقدام وإعطاء المثل في تنفيذ المهام الموكلة إليه.. لأن مثل هذه الصفات تشكل الضمانة الأساسية لنجاح العمليات الفدائية وتوفر ميزة اليقظة والانتباه في توخي الحرص على سلامة الفدائي نفسه وتمتعه برباطة الجأش أثناء تحركه بعد كل عملية يقوم بها.. ومن ثم استمرار حركته التي تدفعه دائماً إلى التدقيق في اختيار مخابئ الأسلحة والى تحديد أكثر الأماكن سرية للاجتماع برفاقه، وكذا في أن تتم عمليات التدريب في أماكن تكون بعيدة جداً عن أعين المخبرين والفضوليين.. إلى جانب أن يكون الحذر ملازما له في كل خطوة يخطوها أو عمل يقوم به وعدم ترك أدنى أثر في تحركه أو قصاصة ورق بعد كل اجتماع يتم أو مكان يؤويه.

إن كل هذه الصفات التي كانت القيادة تحرص على توفرها في الشخص الفدائي المناط به مهمة القيام بعمل عسكري ناجح في مدينة كمدينة عدن لا يمكن أن يتحلى بها أي شخص يقبل العمل الفدائي إلا بعد تربية فكرية مكثفة تستمر عدة شهور وربما سنة أو سنتين حتى يترسخ الإيمان العميق بالهدف الذي سيضحي من أجله ويغدو بهذا الإيمان مثالاً للتضحية والفداء.. يغادر أمان بيته.. ولهو شبابه إلى ميدان المعركة راضياً مختاراً.

وهكذا وبعد أن يكون الفدائي قد اكتملت فيه هذه الشروط المطلوبة لانخراطه في العمل الفدائي، بعد ذلك يتم إخضاعه للتدريب على السلاح من خلال إرساله ضمن مجاميع للتدريب في مدينة تعز لاستخدام الأسلحة الخفيفة، متفجرات، قنابل، مسدسات، رشاشات خفيفة، رشاشات كبيرة، مدافع البازوكا، مدافع الهاون، بنادق.. وغيرها من الوسائل التكتيكية المتصلة بالمتفجرات والتوقيت لها أو صناعتها أو القيام بصيانة هذه الأسلحة وتركيبها.. وعندما لا تتوفر الفرصة أو لا يسمح الوقت بإرسال كل الناس إلى تعز كان يتم التدريب داخل مدينة عدن أو خارجها في مدينة دار سعد التي تقع في ضاحية المدينة من الناحية الشمالية لها. كانت العمليات الفدائية قد بدأت أولاً كمحاولة لجس نبض القوات البريطانية وقياس ردود الفعل عندها، وعند الجماهير التي كانت تتهيأ نفسياً لتقبل صدى المعارك الفدائية وتوفير الحماية لها.

بدأت العمليات الفدائية باستخدام القنابل ورميها بداية في أماكن غير آهلة بالجنود البريطانيين، ومن ثم تطور العمل ليأخذ بشكل العمل الجماعي المخطط كقصف مبنى المجلس التشريعي الذي يقع في مدينة كريتر، ثم عملية المطار التي استخدمت فيها قذائف البازوكا ومدافع الهاون.. ترافق مع ذلك عمليات في بعض الأحياء التي يسكنها البريطانيون هذه العمليات بعضها أصابت أهدافاً وبعضها لم تصب.. كان الهدف من هذه البداية بدرجة أساسية أولاً إثبات وجود عمل فدائي عسكري منظم لا يمكن أن يتوقف، وثانياً إزالة التهيب النفسي عند الفدائيين الذي خلقته الدعاية المضادة للكفاح المسلح، حيث صورت هذه الدعاية مدينة عدن أنها أشبه بالزنزانة المغلقة التي تتحكم بها القوات العسكرية المتواجدة فيها والاستخبارات البريطانية التي تحصي أنفاس كل مواطن صغيراً كان أم كبيراً يعيش في هذه المدينة وضواحيها.

كانت أحاديث وتصريحات بعض السياسيين والكتاب في الصحف الموالية لا تخلو من التهكم على الجبهة وقياداتها التي كانت تطرح فكرة القيام بعمل فدائي داخل المدينة لمقاومة الوجود الاستعماري .. بل ووصل الأمر الى حد وصم هذا التفكير بالطيش وعدم إدراك العواقب .. كل ذلك قد وضع البدايات للعمل الفدائي تحت المراقبة والإشراف المباشر من قبل القيادة العليا المسؤولة عن تنظيم كل القطاعات في مدينة عدن بما فيها القطاع العسكري .. وأخذت القيادة تعمل على رصد الأصداء وردود الأفعال ومناقشة الخطط